

بمحة مادة التفسير (٢)

" الأحكام والآداب المستفادة من سورة
الإسراء "

إعداد

أحمد محمد بوقرين - ماجستير أصول دين - بالجامعة
الأمريكية المفتوحة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

إن الحمد لله نحمده و نشكره و نستعديه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و اشهد ألا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله .

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك و من الأمل إلا فيك و من التسليم إلا لك و من التفويض إلا إليك و من التوكل إلا عليك و من الرضا إلا عنك و من الطلب إلا منك و من الذل إلا في طاعتك و من الصبر إلا على بابك و من الرجاء إلا في يديك الكريمتين و من الرهبة إلا بجلالك العظيم .

اللهم تتابع برك و اتصل خيرك و كمل عطاؤك و عمت فواضلك و تمت نوافلك و بر قسمك و صدق وعدك و حق على أعدائك و عيذك و لم يبق لي حاجة هي لك رضا و لي صلاح إلا قضيتها و أعنتني على قضائها يا أرحم الراحمين .

وبعد :-

فهذا البحث عبارة عن عرض للآداب والأحكام المستفادة من سورة الإسراء ، وسأبدأ بحثي هذا بعرض الأحكام المستفادة من سورة الإسراء ، ومنها مسألة أشرف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة هل أسري بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم أم بروحه وجسده معا ، ومسألة فرض الصلاة حينما عرج به إلى السماء ، ووجوب بر الوالدين ، وحق ذي القربى ، وحرمة قتل الأولاد وقتل النفس التي حرم الله ، حرمة التصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . ثم أعرض الآداب المستفادة من سورة الإسراء ، مثل مجادلة الآخرين بالتي هي أحسن ، وطاعة الوالدين وبرهما ، ودعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى ، والتفكر في ملكوت الله عز وجل والاعتبار بها ، والبعد عن الزنا والقتل وأكل مال اليتيم وبخس الميزان وغيره ذلك من المحرمات والمنكرات ، وأسأل الله عز وجل التوفيق والسداد .

أولاً : الأحكام المستفادة من سورة الإسراء

(١) مسألة أشرف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى : " قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى " فقلوه : { أسرى بعبده } :

قال ابن العربي في معرض حديثه عن سورة الإسراء (١) : لو كان للنبي صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه في تلك الحالة العلية به ،

(٢) مسألة هل أسري بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم أم بروحه.

لقد أكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم برحلة لم يسبق لبشر أن قام بها، وقد كانت انطلاقتها من المسجد الحرام في مكة المكرمة، وأوّل محطة لها في المسجد الأقصى بيت المقدس، بينما كانت آخر محطاتها سدرة المنتهى فوق السموات السبع وتحت العرش ، لقد عرج بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى عوالم السماء حيث شاهد ما لا يمكن لبشر أن يراه، لقد منح الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة عطاءً روحياً عظيماً ، تثبيتاً لفؤاده ، ليتمكّن من إتمام مسيرته في دعوة الناس، وإنقاذ المجتمع من أوهام الخرافة والضلال، فالقدرة الإلهية التي خلقت هذا الكون الكبير، لن تعجز عن حمل بشر إلى عالم السماء، وإعادته إلى الأرض، في رحلة ربّانية معجزة لا يدري كيفيتها بشر.

وقد أثير حول هذه المسألة جدل طويل وتساؤلات كثيرة، فيما إذا كان قد تمّ الإسراء بالروح والجسد، أم بالروح فقط ؟. ولكن المتفق عليه لدى جمهور العلماء أنه تمّ بالروح والجسد معاً ، لأنه لو كان بالروح فقط لما أحدث خلافاً ، إذ أننا نسري بأرواحنا كل ليلة عند نومنا. ومع ذلك فإن الذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الإلهية، لا يستغربون واقعة كهذه، لأن تلك القدرة إرادة نافذة، تهون أمامها جميع الأعمال التي تبدو في نظر الإنسان صعبة أو مستحيلة، حسبما اعتاده ورآه ، وقد صدق أبو بكر رضي الله عنه وهو يردُّ المسألة المستغربة عند القوم إلى بساطتها

وطبيعتها فيقول: (إني لأصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء). وقد جزم جمهور علماء المسلمين على أن الإسراء كان بالروح والجسد يقظة لا مناماً، معتمدين على أدلة كثيرة منها:

١ . إن التسبيح والتعجب في قوله تعالى: { سبحان الذي أسرى بعبده } إنما يكون في الأمور العظام ، ولو كان ذلك مناماً لذكره الله تعالى (كما ذكره عن إبراهيم وولده إسماعيل في قصة الذبح المعروفة) ولما كان له كبير شأن، ولما كان دليلاً على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا حجة له على صدقه في رسالته.

٢ . إن قوله تعالى: { بعبده } يدلُّ على مجموع الروح والجسد.

٣ . إن عملية الإسراء بهذه السرعة ممكنة في نفسها، بدليل أن الرياح كانت تسير بسليمان عليه السلام إلى المواضع البعيدة في الأوقات القليلة، قال تعالى: { ولسليمانَ الرِّيحَ عاصفةً تجري بأمره إلى الأرضِ التي بارَكنا فيها وَكُنَّا بكلِّ شيءٍ عالمين } (٢١ الأنبياء آية ٨١). (٢)

(٣) . مسألة فرض الصلاة.

في حادثة الإسراء كان فرض الصلاة ، وقد روي { أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الإسراء صلاة العشي والإشراق } .

ونورد هنا حديث البخاري في صحيحه عن أحداث الإسراء والمعراج وأحداث فرضية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته من بعده.

فقد ذكر البخاري رحمه الله في صحيحه (٣) قال : حدثنا هُدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم ليلة أسري به قال : { بينما أنا في الحطيم . وربما قال في الحجر . مضطجعاً ، إذ أتاني آت فقد . قال : وسمعتة يقول : فشقق . ما بين هذه إلى هذه } فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما بعيني به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته . وسمعتة يقول من قصته إلى شعرته . ((فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً ، ففُل قلبي ، ثم حُشي ثم أُعيد ، ثم أُتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض)) فقال الجارود : هو البُراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس :

نعم . يضع خطوة عند أقصى طرفه ، فحملت عليه ، فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه قال : نعم . قيل مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ففتح : فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال هذا أبوك آدم ، فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة ، قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما ، فسلمت ، فردا ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد إلى السماء الثالثة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت إذا يوسف ، قال : هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد إلى السماء الرابعة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت فإذا إدريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت فإذا هارون ، قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال ، مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال ، مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . فلما تجاوزت بكى ، قيل له ما يبكيك ؟ قال : أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي . ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم .

قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . ففتح . فلما خلصت فإذا إبراهيم ، قال : هذا إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال ، مرحباً بالابن الصالح والنجي الصالح . ثم رفعت لي سدرة المنتهى . فإذا نبقها مثل قلال هَجَر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران بأطنان ، ونهران ظاهران ، فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات . ثم رُفِع لي البيت المعمور . ثم أُتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هي الفطرة التي أُتيت عليها وأمتك . ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم . فرجعت فمررت على موسى ، فقال : بما أمرت ؟ قال : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله . فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله . فرجعت فوضع عني عشرًا ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله . فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله . فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال : بما أمرت ؟ قلت : بخمس صلوات كل يوم . قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة . فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال : سألت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم . قال : فلما جاوزت ناداني منادٍ : أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي)) .

ومن هذا الحديث الشريف من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم يتبين لنا حكم آخر من الأحكام المستخلصة من سورة الإسراء وهو مسألة فرض الصلاة.

(٤). مسألة وجوب بر الوالدين :

قال تعالى : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } .

قال ابن العربي : (٤)

" فيها خمس مسائل :

المسألة الأولى : قوله : { وقضى } .

قد بينا تفسير هذه اللفظة في كتاب المشكلين بجميع وجوهها ، وأوضحنا أن من معانيها خلق ، ومنها أمر ، ولا يجوز أن يكون معناها هاهنا إلا أمر ، لأن الأمر يتصور وجود مخالفته ، ولا يتصور وجود خلاف ما خلق الله ، لأنه الخالق ، هل من خالق غير الله ، فأمر الله سبحانه بعبادته ، وبر الوالدين مقرونا بعبادته ، كما قرن شكرهما بشكره ، ولهذا قرأها ابن مسعود : ووصى ربك .

وفي الصحيح عن أبي بكر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراف بالله ، وعقوق الوالدين {

وعن أنس في الصحيح أيضا : { الإشراف بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين } .

ومن البر إليهما ، والإحسان إليهما ألا نتعرض لسبهما ، وهي :

المسألة الثانية : ففي الصحيح عن عبد الله بن عمرو أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم : { إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل : يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل

[ص : ١٨٥] والديه ؟ قال : يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه } .

حتى إنه يبره وإن كان مشركا إذا كان له عهد قال الله : { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم

في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } وهي :

المسألة الثالثة : قوله تعالى : { إما يبلغن عندك الكبر أحدهما } : خص حالة الكبر ، لأنها

بطول المدى توجب الاستثقال عادة ، ويحصل الملل ، ويكثر الضجر ، فيظهر غضبه على أبويه ،

وتنتفخ لهما أوداجه ، ويستطيل عليهما بدالة البنوة ، وقلة الديانة .

وأقل المكروه أن يؤفف لهما ، وهو ما يظهره بتنفسه المردد من الضجر .

وأمر بأن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة ، وهو السالم عن كل عيب من عيوب القول المتجرد عن كل مكروه من مكروه الأحاديث .

ثم قال ، وهي المسألة الرابعة { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة } : المعنى تذلل لهما تذليل الرعية للأمير ، والعبيد للسادة ، وضرب خفض الجناح ونصبه مثلا لجناح الطائر حين ينتصب بجناحه لولده أو لغيرهم من شدة الإقبال .
والذل هو اللين والهون في الشيء .

ثم قال ، وهي المسألة الخامسة : { وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا } : معناه : ادع لهما في حياتهما وبعد مماتهما بأن يكون البارئ يرحمهما كما رحماك ، وترفق بهما كما رفق بك ، فإن الله هو الذي يجزي الوالد عن الولد ، إذ لا يستطيع الولد كفاء على نعمة والده أبدا .

وفي الحديث الصحيح : { لن يجزي ولد ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه } ، معناه يخلصه من أسر الرق كما خلصه من أسر الصغر ، وينبغي له أن يعلم أنهما ولياه صغيرا جاهلا محتاجا ، فأثره على أنفسهما ، وسهرا ليلهما وأناماه ، وجاعا وأشبعا ، وتعريا وكسواه ، فلا يجزيهما إلا أن يبلغا من الكبر إلى الحد الذي كان هو فيه من الصغر ، فيلي منهما ما وليا منه ، ويكون لهما حينئذ عليه فضل التقدم بالنعمة على المكافئ عليها " .

(٥) . حق ذي القربى :

قوله تعالى : { وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا } .

المسألة الأولى : تبين لنا هذه الآية الكريمة حكم حق ذوي القربى وأكد الله سبحانه وتعالى حق ذي القربى ، بعد أن وصى ببر الوالدين ، وبعد بر الوالدين ثنى التوصية بذي القربى عموما ، وأمر بتوصيل حقه إليه من صلة رحم ، وأداء حق من ميراث وسواه .

المسألة الثانية : المسألة الثانية : قوله تعالى { والمسكين وابن السبيل } : ولهم حقان :

أحدهما : أداء الزكاة ، والثاني : الحق المفترض من الحاجة عند عدم الزكاة ، أو فنائها ، أو تقصيرها من عموم المحتاجين .

المسألة الثالثة : قوله تعالى : { ولا تبذر تبذيرا } قال العلماء : التبذير هو منعه من حقه ، ووضعه في غير حقه ، وفي نفس السياق حديث النبي صلى الله عليه وسلم : { نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال } ، وقال تعالى : { إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين } وهذا نص واضح في تحريم التبذير .

(٦). مسألة حرمة قتل الأولاد :

قال تعالى : { ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا } . روى ابن مسعود { عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك . قال : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك } (٥) . وهذا نص صريح على حرمة قتل الأولاد خشية الفقر وكان مورد هذا النهي بشكل أساسي أهل الموءودة الذين كانوا يرون قتل الإناث مخافة الإنفاق عليهن ، وعدم النصرة منهن ، ويدخل فيه كل من فعل فعلهم من قتل ولده إما خشية الإنفاق أو لغير ذلك من الأسباب .

(٧). حرمة التصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن :

قال تعالى : { ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا } . وهذه الآية تبين حرمة التصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن أي بالتي هي أحسن لليتيم ، وذلك بكل وجه تكون المنفعة فيه لليتيم ، لا للمتصرف فيه .

وقوله : { حتى يبلغ أشده } يعني قوته

وقوله : { وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا } أي مسئولا عنه ، وهذا يبين ضرورة التزام العهود .

ثانيا : الآداب المستفادة من سورة الإسراء

(١) . مجادلة الآخرين بالتي هي أحسن :

قال تعالى : { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا } الإسراء آية (٥٥)

تكشف لنا هذه الآية الكريمة عن أدب عظيم حري بكل مسلم أن يتأدب به ويتخلق به ، وهو خلق المجادلة بالتي هي أحسن، ويقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلمة الطيبة ويختاروا من الكلام اللفه وأحسنه وينطقوا دائماً بالحسنى { إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ } أي إن الشيطان يُفسد ويُهيج بين الناس الشرَّ ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الخسنة يُقلت بها اللسان { إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا } أي ظاهر العداوة للإنسان من قديم الزمان يتلمس سقَطات لسانه ليُحدث العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه (٦).

(٢) . طاعة الوالدين وبرهما :

قال تعالى : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا }

{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } أي حكم تعالى وأمر بأن لا تعبدوا إلهاً غيره. وقال مجاهد : { وَقَضَى } يعني وصَّى بعبادته وتوحيده { وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } أي وأمر بأن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً قال المفسرون: قرن الله تعالى بعبادته برِّ الوالدين لبيان حقهما العظيم على الولد لأنهما السبب الظاهر لوجوده وعيشه، ولما كان إحسانهما إلى الولد قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون إحسان الولد إليهما كذلك { إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا } أي قد أوصيناك

بهما وبخاصة إذا كبيرا أو كبير أحدهما، وإنما خصَّ حالة الكِبَرِ لأنهما حينئذٍ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى {عِنْدَكَ} أي في كنفك وكفالتك {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ} أي لا تقل للوالدين أقل كلمة تظهر الضجر ككلمة أُفٌّ ولا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولو بكلمة التأفف {وَلَا تَنْهَرُهُمَا} أي لا تزجرهما بإغلاظٍ فيما لا يعجبك منهما {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} أي قل لهما قولاً حسناً ليناً طيباً بأدبٍ ووقارٍ وتعظيمٍ {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} أي ألن جانبك وتواضع لهما بتدللٍ وخضوع من فرط رحمتك وعطفك عليهما {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} أي ادع لهما بالرحمة وقل في دعائك يا رب ارحم والديَّ برحمتك الواسعة كما أحسنا إليَّ في تربيتهما حالة الصغر. (٧)

(٣) . دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى :

قال تعالى : {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ} أي نادوا ربكم الجليل باسم {اللَّهِ} أو باسم {الرَّحْمَانَ} {أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (أي بأي هذين الاسمين ناديتموه فهو حسن لأن أسماءه جميعها حسنى وهذان منها، قال المفسرون: سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو {يا الله، يا رحمن} فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحدٍ وها هو يدعو إلهين فنزلت الآية مبينة أنهما لمسمّى واحد .

(٤) . التفكير في ملكوت الله عز وجل والاعتبار بها :

قال تعالى : {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا} يشير جل في علاه إلى آياته الكونية في هذا الوجود، التي كل منها برهان نير على وحدانية الله فقال: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ} أي علامتين عظيمتين على وحدانيتنا وكمال قدرتنا {فَمَحْوُنَا آيَةَ اللَّيْلِ} أي طمسنا الليل فجعلناه مظلماً لتسكنوا فيه {وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} أي جعلنا النهار مضيئاً مشرقاً بالنور ليحصل به الإبصار {لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} أي لتطلبوا في النهار أسباب معيشتكم {وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ} أي ولتعلموا عدد الأيام والشهور

والأعوام، بتعاقب الليل والنهار، فالليل للراحة والسكون، والنهار للكسب والسعي { وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً } أي وكل أمر من أمور الدنيا والدين، بيناه أحسن تبيين، وليس شيء من أمر هذا الوجود متروكاً للمصادفة والجزاف، وإنما هو بتقديرٍ وتدييرٍ حكيم.

(٥) . البعد عن الزنا والقتل وأكل مال اليتيم وبخس الميزان وغيره ذلك من

المحرمات والمنكرات :

قال تعالى : { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا . وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا } . (٨)

{ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ } أي لا تقدموا على قتل أولادكم مخافة الفقر { نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ } أي رزقهم علينا لا عليكم فنحن نرزقهم ونرزقكم فلا تخافوا الفقر بسببهم { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } أي قتلهم ذنبٌ عظيم وجرمٌ خطير قال المفسرون: كان أهل الجاهلية يبدون البنات مخافة الفقر أو العار فنهاهم الله عن ذلك وضمن أرزاقهم { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ } أي لا تدنوا من الزنى وهو أبلغ من "لا تزنوا" لأنه يفيد النهي عن مقدمات الزنى كاللمس، والقُبلة، والنظرة، والغمز وغير ذلك مما يجزُّ إلى الزنى فالنهي عن القرب أبلغ من النهي عن الفعل { إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً } إي إن الزنى كان فعلة قبيحة متناهية في القبح { وَسَاءَ سَبِيلًا } أي ساء طريقاً موصلاً إلى جهنم { وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ } أي لا تقتلوا نفساً حرم الله قتلها بغير حقٍ شرعي موجب للقتل كالمرتد، والقاتل عمدًا، والزاني المحصن { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا} أي ومن قُتِلَ ظلماً بغير حقٍ يوجب قتله فقد جعلنا لوارثه سلطةً على القاتل بالقصاص منه، أو أخذ الدية، أو العفو {فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} أي فلا يتجاوز الحدَّ المشروع بأن يقتل غير القاتل أو يُمثَّل به أو يقتل اثنين بواحد كما كان أهل الجاهلية يفعلون، فحسبُه أن الله قد نصره على خصمه فليكن عادلاً في قصاصه {وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أي لا تتصرفوا في مال اليتيم إلا بالطريقة التي هي أحسن وهي حفظه واستثماره {حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} أي حتى يبلغ اليتيم سن الرشد ويحسن التصرف في ماله {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} أي وفوا بالعهود سواءً كانت مع الله أو مع الناس لأنكم تُسألون عنها يوم القيامة {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ} أي أتموا الكيل إذا كلتم لغيركم من غير تطفيفٍ ولا بخسٍ {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ} أي زنوا بالميزان العدل السويِّ بلا احتيالٍ ولا خديعةٍ {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} أي وفاء الكيل وإقامة الوزن خيرٌ في الدنيا وأحسن مآلاً في الآخرة {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أي لا تتبَّع ما لا تعلم ولا يعنينا بل تثبَّت من كل خبر، قال قتادة: لا تقل رأيتُ ولم تر، وسمعتُ ولم تسمع، وعلمتُ ولم تعلم، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} أي إن الإنسان يُسأل يوم القيامة عن حواسه: عن سمعه، وبصره، وقلبه وعما اكتسبته جوارحه {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} أي لا تمش في الأرض مختالاً مشية المعجب المتكبر {إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} هذا تعليل للنهي عن التكبر والمعنى أنك أيها الإنسان ضئيل هزيل لا يليق بك التكبر؟ كيف تتكبر على الأرض ولن تجعل فيها خرقاً أو شقاً؟ وكيف تتناول وتتعظَّم على الجبال ولن تبلغها طولاً؟ فأنت أحقر وأضعف من كل واحدٍ من الجماديين فكيف تتكبر وتتعالى وتختال وأنت أضعف من الأرض والجبال؟ وفي هذا تهكم وتقريع للمتكبرين {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا} أي كل ذلك المذكور الذي نهى الله عنه كان عمله قبيحاً ومحرمًا عند الله تعالى {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ} أي ذلك الذي تقدم من الآداب والقصص والأحكام بعضُ الذي أوحاه إليك ربك يا محمد من المواعظ البليغة، والحكم الفريدة {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا} أي لا تشرك مع الله غيره من وثنٍ أو بشر فتلقى في جهنم ملوماً تلوم نفسك ويلومك الله والخلق مطروداً مبعداً من كل خير قال الصاوي: ختم به الأحكام كما

ابتدأها إشارةً إلى أن التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها، وهو رأس الأشياء وأساسها، والأعمالُ بدونه باطلةٌ لا تفيد شيئاً.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعليه يصلح أمر الدنيا والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين وصفوة الخلق أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد :

فهذه خاتمة بحثي " الأحكام والآداب المستفادة من سورة الإسراء " وهو عبارة - كما أسلفت في المقدمة - عن عرض للآداب والأحكام المستفادة من سورة الإسراء ، وقد بدأت البحث بعرض الأحكام المستفادة من سورة الإسراء ، مثل مسألة أشرف اسم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومسألة هل أسري بجسد الرسول صلى الله عليه وسلم أم بروحه وجسده معا ، ومسألة فرض الصلاة في المعراج ، ووجوب بر الوالدين ، وحق ذي القربى، وحرمة قتل الأولاد وقتل النفس التي حرم الله ، وحرمة التصرف في مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، ثم عرضت الآداب المستفادة من سورة الإسراء ، مثل مجادلة الآخرين بالتي هي أحسن ، وطاعة الوالدين وبرهما ، ودعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى ، والتفكير في ملكوت الله عز وجل والاعتبار بها ، والبعد عن الزنا والقتل وأكل مال اليتيم ونجس الميزان وغيره ذلك من المحرمات والمنكرات ، وأسأل الله أن أكون قد وفقت في عرض هذه الأحكام وهذه الآداب المستفادة من سورة الإسراء ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

- (١) أحكام القرآن لأبن العربي.
- (٢) سورة الأنبياء آية ٨١.
- (٣) صحيح البخاري.
- (٤) أحكام القرآن للجصاص.
- (٥) صحيح البخاري.
- (٦) صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني.
- (٧) صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني.
- (٨) الإسراء آية ٣١.